كلية التربية ـ شعبة: اللغة العربية
الفرقة: الأولى (عام)

المادة: مدخل إلى البلاغة والنقد
الزمن: ساعتان

اختبار تخلفات الفصل الدراسي الثاني للعام الجامعي 2012 / 2013

مجموع درجات هذا الامتحان مائة وخمسون درجة

أستاذ المادة: د. أحمد شحاتة محمد علوانى

أجب عن اثنين مما يأتى:

1. ماذا تعرف عن النقد؟ ومن هو الناقد؟ وما هى أصول النقد الأدبى؟
2. "مظاهر النقد فى العصر الجاهلى". اشرح ذلك مبيناً ما يلى:

   (الأسواق ـ حادثة أم جُندب ـ الحوليات).
3. اكتب مقالاً عن النقد فى العصر العباسى.

==

أطيب المنى
د. أحمد شحاتة محمد علوانى

إجابة السؤال الأول:

ماذا تعرف عن النقد؟ ومن هو الناقد؟ وما هى أصول النقد الأدبى؟

الـــنـــــقـــــــد

يميز الإنسان بين الخير والشر، وبين الجميل والقبيح، وبين الجيد والردئ، وبين الكلام الحسن والخشن... فالإنسان ناقدٌ بطبعه، يمارس النقد من خلال ميوله الذوقية، وانطباعاته الشخصية. ولكن ماذا عن النقد الأدبى، ما هو تعريفه، وكيف نشأ وتطور؟!

إن موضوع النقد الأدبى هو الأدب نفسه سواء المنثور أو المنظوم؛ ولكن ما تعريف النقد؟ ومن هو الناقد؟ وما الدور الذى يقوم به؟

أولاً: معنى النقد في اللغة:

ورد في لسان العرب لابن منظور أن: النَّقدَ هو: تَمْيِيزُ الدّراهِمِ وإخراجُ الزَّيْفِ مِنْها

وواضح أن النقد في اللغة يجعل الناقد كالصيرفي الذي يميز بين الدراهم الزائفة من الحقيقية. وكذا الناقد الأدبي يميز بين النصوص الأدبية فيحكم عليها بالجودة أو بالرداءة.

إذن فعمل الصّيرفي يماثل عمل الناقد، فالصّيرفي لديه قدرة على معرفة الدراهم وتمييز الزائف من الصحيح، وكذا الناقد لديه القدرة على تمييز جيد النصوص من رديئها.

ويُعدُّ "خلف الأحمر"() أول من ربط بين عمل الناقد في الشعر وعمل الصيرفي في الدراهم، فيذكر "ابن سلام الجمحى" في كتابه: "طبقات الشعراء"() أن رجلاً تحدث إلى "خلف" فقال: «إذا سمعت أنا بالشعر أستحسنه فما أبالي ما قلت أنت فيه وأصحابك.

قال خلف: إذا أخذت درهمًا فاستحسنته، فقال لك الصراف: إنه رديء! فهل ينفعك استحسانك إياه؟»

ثانيًا: معنى النقد في الاصطلاح:

هو علمٌ يبحث فى طبيعة الأعمال الأدبية، وخصائصها، وقيمتها الفنية، يتعلق بالحكم عليا، وتمييز الجيد من الرديء منها سواء أكانت هذه الأعمال شعرية أم نثرية. ويرى "جولدمان" أن «النقد الأدبى أوّلاً وقبل كلّ شىء هو الدراسة العلميّة للأثر وهذه الدّراسة تخصص على أساس فهم وتفسير الأثر»

فالنقد الأدبي هو تقدير النّصّ الأدبى تقديرًا لقيمته، وبيانًا لتميزه، واستخراجًا لدلالاته، ولا يتكون النقد إلا عن خبرة وفهم وموازنة ثمّ حكم سديد، يراعى الموضوعية، ويبتعد عن المجاملاتية، «فالنّقد دراسة الأشياء وتفسيرها وتحليلها وموازنتها بغيرها المشابهة لها أو المقابلة، ثمّ الحكم عليها ببيان قيمتها ودرجتها، يجرى هذا فى الحّسيات والمعنوّيات وفى العلوم والفنون وفى كلّ شىء متصّل بالحياة»

الناقد

من هو الناقد؟ وما هى سماته أو أدواته النقدية للحكم على النص؟

الناقد أشبه ما يكون بالقاضى الذى يفصل بين المتخاصمين، ويصدر حكمه. ومن ثم فلابد أن يكون الناقد: (دقيق النظر، سريع الخاطر، مثقف، شديد الحساسية، ذو الذوق الفطري، له دربة ومراس وذلك كى يتمكن من مشاركة الأديب لتجربته الإبداعية).

ويجب أن يربأ الناقد بنفسه بعيدًا عن المؤثّرات الّتى تفسد أحكامه، أو تؤثر فيها. بالإضافة إلى ثقافته الأدبية العلمية، وتمّرسه بالأدب، ومعرفته بأطواره ومراحله التاريخيّة، وحسن فهمه وتعمّقه، ليتسّنى له الإنصاف وإصدار الحكم الصّحيح.

ويقوم الناقد بدور الدارس، والشارح، والمحّلل، والمعلّل، فهو يساعد القّراء على الفهم والتقدير، ويرشد الأديب إلى أمثل الطرّق فى الكتابة والتصوير والتّعبير، وبذلك يأخذ بيد الأدباء والقرّاء إلى خير السُبُل في الكتابة الإبداعية والقراءة النقدية.

ما هى مهمة الناقد؟ وما هى الإجراءات العملية التي تمكنه من ممارسة النقد؟

1. المعرفة التامة بعلوم اللغة العربية من نحو وصرف وبلاغة وأوزان الشعر وعروضه وقوافيه.
2. الإطلاع على ما يستجد في ميدان النقد من آراء ومعارف ونظريات وأحكام.
3. التجرد من الأهواء الشخصية، والنوازع النفسية، والتحيز والتعصب.

4. التفسير والتحليل والتقويم للعمل الأدبي، فالناقد يعمل على تيسير النص المعقد، وإيضاح المعاني الغامضة.
5. الكشف عن المسكوت عنه، فالناقد يُجلي عن الرموز الخفية لتظهر سافرة أمام عين القارئ.
6. الربط بين النص وسياقه التاريخي والاجتماعي والثقافي.

أصول النقد الأدبي

النقد الأدبي هو علم فكرى تحليلي، له أصوله وأدواته، فعمل الناقد أشبه ما يكون بعمل القاضي، فالناقد يتصدى للحكم على النص الأدبي كما يتصدى القاضي للحكم في قضية ما، ولذا يجب على الناقد أن يتمتع بالحس الذوقي، والمقدرة على التمييز، إضافة إلى ثقافته الواسعة الشاملة حتى يتمكن من دراسة النص، وشرحه، وتحليله، وتفسيره، وتقويمه، وتقريبه إلى القارئ، وغالبًا ينتهي إلى إصدار حكمه على العمل الأدبي إما بالجودة أو الرداءة. ويمكن إجمال أصول النقد الأدبي فى النقاط الآتية:

1. الناقد أشبه ما يكون بالرقيب على الأديب، فهو يراقب إبداعه فيناقشه ويحلله ويوجهه إلى نقاط الضعف فى عمله ليتحاشاها فيما بعد، كما أنه ينبهه إلى مواضع القوة ليعمل على صقلها والحفاظ عليها.
2. لابد أن يبدأ الناقد بعرض إيجابيات النص الذي أمامه، فلا يبدأ الناقد بعرض السلبيات، بل يبدأ بمواضع الإجادة ثم يتطرق إلى مواضع الخلل، وعليه أن يعرض ذلك بأسلوب علمي دقيق، وكلام واضح، فلا يُقرع أو يجرح، حتى لا يُفهم من الحديث بأن المقصود صاحب العمل لا العمل ذاته.
3. الناقد يحدد السلبيات والإيجابيات في العمل الأدبي، ولكن لابد ألا يتحول الناقد إلى قادح، فإذا تحول الناقد إلى قادح سيصبح نقده نقدًا هدامًا، يهدم النص دون أن يقومه، وبذلك يخرج الناقد عن حدود الحياد والموضوعية ليدخل نقده في إطار الغيرة والعقد النفسية والمواقف الشخصية.
4. يجب على الناقد أن يضع في اعتباره أن الحكم على عمل أدبي لأديب مبتدئ لابد أن يختلف عن معيار الحكم على عمل أدبي لأديب محترف، فالموهبة الطليعية البازغة لا تُقاس أو تُقارن بالموهبة الاحترافية المدربة.
5. لابد أن نفرق بين النقد وبين إبداء الرأي، فلا يجوز للناقد أن يتعرض للنص من منظور قيمي وأخلاقي فيقول مثلاً: إن هذا الشاعر أو الكاتب نأى في قصيدته الشعرية أو في رسالته النثرية عن قيم الصدق والأخلاق و... ولكن ما يشغله هو النص وما بداخله من جماليات وعناصر إبداع فني وصور وموسيقا وتشبيهات وأسلوب و...إلخ. فالحكم على العمل ينبع من مكوناته الداخلية لا من الأشياء الخارجية.

إجابة السؤال الثانى: مظاهر النقد فى العصر الجاهلى". اشرح ذلك مبيناً ما يلى:

(الأسواق ـ حادثة أم جُندب ـ الحوليات).

عنى العرب منذ الجاهلية بلغتهم عناية فائقة، كما احتفوا بالخطباء والشعراء، فلقد تبوأ الشاعر مقامًا محموداً بين عشيرته، وبلغ مكانة رفيعة بين أبناء قبيلته، وأرتقي منبرًا عاليًا ليكون لسان قومه جميعًا.

وكانت القبيلة أو العشيرة إذا نبغ شاعرٌ فيها عدّت ذلك فخرًا، ويكون نبوغه بمثابة العيد، لأنه يمثل لسان حالها. فالشاعر يزود عنها بلسانه، ويوظف شعره ليتغنى بمفاخرها وبأمجادها وحسبها ونسبها، ومعاركها الحربية وأيامها، وبذلك يُسهم الشاعر فى إعلاء شأن قومه، وتخليد ذكر القبيلة، بما ينظمه من أشعار متنوعة.

وهذه الحفاوة البالغة بالشعر والشعراء تعكس لنا أن: (العرب أهل فصاحة وبيان، وطلاقة لسان) والرسول ﷺ بالقرآن الكريم فتحداهم به، وقد عجزوا عن الإتيان بمثله، قال تعالى:

﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّـهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ. فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾

إذن فالفصاحة والبيان من أسس الحياة العربية الجاهلية، لأن حياة الجاهليين قامت على فصاحة اللسان وحسن البيان، إذ لم يخلدوا حضارتهم في قصور مشيدة، ولكن في أقوال مأثورة وأشعار منظومة كالدرر ولذلك يُقال: ..((**الشعر ديوان العرب**)).. لأن الشعر ديوانهم الذي سجلوا فيه: حياتهم، مآثرهم، مفاخرهم، أمجادهم، عاداتهم وأخلاقهم. ولقيمته في حياتهم قدسوا الشعر الجيد وكتبوه بماء الذهب وعلقوه على أستار الكعبة ليطلع عليه القاصى والداني.

الأسواق والنقد الأدبى:

ولقد دارت حول الشعر حركة نقدية لقيمته وأهميته، ومن أجل تنقيح ما يشوبه من لحن أو خلل. وكانت الأسواق مركزًا رئيسيًا لهذه الحركة النقدية. فلم يقتصر السوق على حركة التداول والبيع والشراء فحسب، بل كان السوق محفلاً مهمًا قصده الشعراء من كل حدب وصوب، فيه يلتقون، ويتناشدون على مسمع ومرئي من الناس، ومن السوق يُعرفون ويذاع ما ينظمون وبذلك تتردد أسماؤهم وتنشر أشعارهم.

ففي الأسواق نشأت المساجلات، وأعلنت المحاكمات بين الشعراء. فكان الشعراء يتحاكمون فيما شجر بينهم. وفي سوق "عكاظ" ضُربت خيمة، لها قبة حمراء اللون ليعرفها الناس، وفيها جلس "النابغة الذبياني" حيث وفد الشعراء يحتكمون إليه.

كانت خيمة "النابغة الذبياني" أشبه ما تكون بالصالون الأدبي أو بالمؤتمر النقدي، فقد جاء إلى خيمته الأعشى وحسان بن ثابت والخنساء ...

وفى هذا السياق يذكر "أبو الفرج الأصبهانى" في كتابه "الأغاني":

«إن نابغة بني ذبيان كان تضرب له قُبة من أدم بسوق عكاظ يجتمع إليه فيها الشعراء؛ فدخل إليه حسان بن ثابت وعنده الأعشى وقد أنشده شعره وأنشدته الخنساء قولها:

(قذى بعينك أما بالعين عوار).

حتى انتهت إلى قولها:

(وإن صخرًا لتأتم الهداة به ***كأنه علمٌ في رأسِهِ نار).

فقال : لولا أن أبا بصيرٍ أنشدني قبلك لقلت : إنك أشعر الناس!

فقال حسان : أنا والله أشعر منك ومنها .قال : حيث تقول ماذا؟ قال : حيث أقول:

لنا الجَفَناتُ الغرُّ يلمعْنَ في الضُّحى *** وأسيافُنا يقطرْنَ من نجدةٍ دَمَا
ولَدْنا بني العنقاءِ وابني محرِّقٍ *** فأكرمْ بنا خالاً وأكرمْ بنا ابنما

فقال: إنك لشاعر لولا أنك قللت عدد جفانك، وفخرت بمن ولدت، ولم تفخر بمن ولدك.

وفي رواية أخرى:

فقال له: إنك قلت "الجفنات" فقللت العدد ولو قلت" الجفان" لكان أكثر . وقلت: " يلمعن في الضحى" ولو قلت:" يبرقن بالدجى" لكان أبلغ في المديح لأن الضيف بالليل أكثر طروقًا. وقلت: "يقطرن من نجدة دمًا" فدللت على قلت القتل ولو قلت "يجرين" لكان أكثر لانصباب الدم . وفخرت بمن ولدت ولم تفخر بمن ولدك. فقام حسان منكسرًا منقطعًا».

لقد انتقد النابغة شعر حسان بن ثابت السابق من جهتين، تتصل الجهة الأولى «بالصياغة واختيار مفرداته اللغوية؛ حيث قال: "الجفنات" وهو جمع يدل على القِلَّة، ومجال الفخرُ كان يقتضيه إظهار الكثرة، مبالغة في الكرم بأن يأتي بجمع التكسير: "الجفان"، كما عاب عليه قوله: "يلمَعْنَ بالضحى"، وأحسن منه أن يقول: "يَبْرقن بالدُّجى"؛ لأن الضيف بالليل أكثر طروقًا. وأيضًا قوله: "يقطرن من نجدة دمًا" لأنه يدل على قلة القتل». وكان حقه أن يقول: يجرين أو يسلن من جدة دمًا.

أما عن الجهة الثانية التى انتقد "النابغة" من أجلها قول "حسان" فهي تتصل «بالمعنى العام لسياق الفخر، حيث ترك "حسان" الفخر بآبائه، وافتخر بمن ولدَتْ نساؤه».

لقد وفد الشعراء إلى خيمة "النابغة" يحملون بضاعتهم وهى الشعر، يعرضون هذه البضاعة على "النابغة الذبياني"، يتنافسون، ينشدون، يحتكمون، إليه. وقد وقف "النابغة" موقف الحكم أو القاضي الذي يفصل في الخصومة ويحكم بينهم، ويجيبهم عن سؤال شغلهم هو: من أشعر الشعراء؟! أيهم الذي تفوق على منافسه، في اللفظ والمعنى؟ أيهم راق شعره، وحسن سبك ألفاظه، وجودة معانيه؟ والذي يتفوق على منافسه إنما يكمن في شعره مواصفات الجودة والتنقيح.

تثقيف الشعر .. الحوليات:

إن الإنسان كلما أحس بأن هناك من يقف له بالمرصاد، راصدًا لعمله أو مراقبًا لفعله أو متعقبًا له بالنقد كلما دفعه ذلك إلى بذل ما في وسعه من أجل تجويد عمله والصبر عليه ليخرج إلى الناس في أحسن صورة. ولعل أقدم صورة للنقد الأدبى هى نقد الشاعر لما ينتجه، حيث يعتمد فى ذلك على دربة ومران وسعة إطلاع، فكل شاعر متمرس هو ناقد بالفعل لنصه الأدبى. وينطبق هذا على الشاعر والناقد، لأن خوف الشاعر من توجيه النقد اللاذع إلى قصيدته كان وازعه أو دافعه نحو التنقيح والتثقيف.

قام الشعراء بعملية تثقيف تجاه شعرهم، عن طريق الزيادة والنقصان أو التقديم والتأخير. ويمثل التثقيف مظهرا من مظاهر الحس النقدي لدى شعراء الجاهلية، وخاصة "زهير" صاحب الحوليات، فالشعراء يتوجهون إلى شعرهم، فيتدارسونه ويراجعونه ويحذفونه منه، ويضيفون إليه في تبصر وعمق. وكان كل هذا ضربا من الممارسة النقدية على نصوصهم الشعرية.

فلم يقبل الشعراء ـ بخاصة القدماء ـ كل ما يرد على خواطرهم بل ما يزالون ينقحون حتى يظفروا بأعمال جليلة، وهي أعمال كانوا يجيلون فيها الفكر متكلفين جهودا شاقة في التماس المعنى المصيب تارة، والتماس اللفظ المتخير تارة ثانية. يقودهم في ذلك بصر محكم يميزون به المعاني والألفاظ بعضها من بعض، بحيث يصونون كلامهم عما قد يفسده أو يهجنه ومن ذلك قول "عدي بن الرقاع":

وَقَصِيدَةٍ قد بتُّ أجْمعُ بينها ... حتى أُقَوِّم مَيْلها وسِنادَهـا

نظرَ المثقِّف في كعوبِ قناتِهِ ... حتى يُقيم ثِقافُه مُنْآدهـا

وقد اعتبر "ابن قتيبة" هذا اللون ضربا من التكلف في الشعر «فالمتكلف هو الذي قوم شعره بالثقاف، ونقحه بطول التفتيش. وأفاد فيه النظر بعد النظر، كزهير والحطيئة وكان الأصمعي يقول: زهير والحطيئة وأشباهها (من الشعراء) عبيد الشعر لأنهم نقحوه، ولم يذهبوا فيه مذهب المطبوعين. وكان "سويد بن كراع" يذكر تنقيح شعره بقوله:

أبيتُ بِأبْوابِ القوافي كأنما   أُصَادي بها سِرْبا من الوحشِ نُزَّعَا
أُكالِئها حتى أعرِّس بعدما   يكون سُحَيْرا وبُعَيْد فأهْجعا
إذاخفْتُ أن تُرْوىعليَّ رددْتُها   وراء التَّراقي خَشْيَة أن تطلعا
وجشَّمني خوفُ ابن عفان ردها   فثقَّفتها حولا جريدا ومرْبَعا
وقد كان في نفسي عليها زيادةً   فلم أرَ إلا أن أطيع وأسمعا».

عبيد الشعر:

"أوس بن حجر"، "الحطيئة"، "زهير"، "كعب بن زهير"، سموا بـ "عبيد الشعر" لأنهم صبروا على قصائدهم حولاً كاملاً دون كلل أو ملل لتخرج في أبهي صورة إلى الناظرين إليها، أو المقبلين عليها بالفحص والنقد، ولذا سميت قصائدهم بـ "الحوليات" وفى هذا السياق يقول "الجاحظ":

«ومن شعراء العرب من كان يدع القصيدة تمكث عنده حولاً كريتًا() وزمنًا طويلاً يردد فيها نظره، ويقلب فيها رأيه إتهامًا لعقله وتتبعًا على نفسه فيجعل عقله ذمامًا على رأيه ورأيه عيارًا على شعره إشفاقًا على أدبه وإحرازًا لما خوله الله من نعمته وكانوا يسمون تلك القصائد الحوليات والمنقحات والمحكمات ليصير قائلها فحلا خنذيذًا وشاعرًا مفلقًا.

وفي بيوت الشعر الأمثال والأوابد ومنها الشواهد ومنها الشوارد.

والشعراء عندهم أربع طبقات فأولهم الفحل الخنذيذ. والخنذيذ هو التام. قال: الأصمعي قال: رؤبة: هم الفحول الرواة ودون الفحل الخنذيذ الشاعر المفلق ودون ذلك الشاعر فقط والرابع الشعرور»

ويؤكد "الجاحظ" في النص السابق على ظاهرة القصائد الحولية، وهى القصائد التي مكثت بين أيدي ناظميها عامًا كاملاً، وفى هذه المدة الزمنية الطويلة نسبيًا كان الشاعر يضع قصيدته نصب عينيه، يفكر فيها، لا يتركها دون نظر، بل يرعاها بالتنقيح حتى تخرج إلى المتلقين شرابًا سائغًا لذة للشاربين. فالشعراء لم يقبلوا «كل ما يرد على خواطرهم؛ بل ما يزالون ينقحون ويجودون حتى يظفروا بأعمال جيدة، وهى أعمال كانوا يجيلون فيها الفكرة، ويعيدون النظر، متكلفين جهودًا شاقة في التماس المعنى المصيب تارة، والتماس اللفظ المتخير تارة ثانية، يقودهم في ذلك بصر محكم، يميزون به المعاني والألفاظ بعضها من بعض، بحيث يصونون كلامهم عما قد يفسده أو يهجنه»

وفى نشأة النقد الأولى كان النقد نقدًا انطباعيًا، فالناقد في العصر الجاهلي كان ينطلق من عاطفته وذوقه الفطري، فيستحسن أو يستقبح ما سمعه من الشعر، وهو بذلك لا ينطلق من العقل وتحليله الموضوعي، فكان النقاد الجاهليون ينقدون الشعر بما يمليه عليهم حسهم وذوقهم تجاه ما يسمعون، فلا يرتكزون على التحليل العقلي، بل على الذوق الفطري، وهنا يأتي حكمهم منبعثًا من مشاعرهم التي تنفعل وتتأثر بما يُلقى على مسامعهم من شعر، فالناقد إذا راقته قصيدة ما أو حتى بيت منها في هذه الحالة يُصدر حكمًا معممًا فيجعل من القصيدة أجود القصائد، ومن القائل أشعر الشعراء.

حادثة "أم جُندب":

يدخل ضمن ممارسة النقد في العصر الجاهلي قصة "أم جُندب" زوج امرئ القيس، فقد تخاصم "امرؤ القيس" مع "علقمة بن عبدة" أيهما أشعر، فقال: "علقمة" لـ "امرئ القيس" رضيت بامرأتك "أم جُندب" حكماً بيني وبينك، فحكماها بينهما، فقالت لهما: قولا شعراً تصفان فيه فرسيكما على قافية واحدة ووزن واحد... وترد القصة فى كتاب "الشعر والشعراء" "لابن قتيبة" على النحو الآتي:

«كانت تحت امرئ القيس امرأة من طيء تزوجها حين جاور فيهم، فنزل به علقمة الفحل بن عبدة التميمي، فقال كل واحد منهما لصاحبه: أنا أشعر منك، فتحاكما إليها، فأنشد امرؤ القيس قوله:

خليليَّ مُرَّا بِي على أُمِّ جُنْدَبِ *** لنَقْضِيَ حاجاتِ الفُؤَادِ المعَذَبِ

حتى مرّ بقوله:

فللسوطِ ألهوبٌ وللساقِ درَّةٌ *** وللزجرِ منهُ وقعُ أخرجَ مهذبِ

فأنشدها علقمة قوله:

ذَهَبْتَ منَ الهجْرَانِ في كُلّ مَذْهَبِ *** ولم يَكُ حَقّاً كُلُّ هذا التَّجَنُّبِ

حتى انتهى إلى قوله:

فأَدْرَكَهُنَّ ثانيًا من عِنانِهِ *** يَمُرُّ كمَرِّ الرائِحِ المتَحَلَّبِ(.

فقالت له: علقمة أشعر منك.

قال: وكيف؟

قالت: لأنك زجرت فرسك، وحركته بساقك، وضربته بسوطك. وإنه جاء هذا الصيد، ثم أدركه ثانيًا من عنانه. فغضب امرؤ القيس وقال: ليس كما قلت، ولكنك هويته، فطلقها، فتزوجها علقمة بعد ذلك، وبهذا لقب علقمة الفحل(.

ومن الواضح في النص السابق أن "أم جندب" رجحت كِفة "علقمة" على كِفة "امرئ القيس" فحكمت لـ "علقمة" بأنه الأشعر، وبنت هذا الحكم من خلال بيت شعري واحد، يتركز حول طريقة وصف الفرس لدى كل منهما، فـ "علقمة" لم يُجهد أو يتعب فرسه، بل ثنى عنانه فأدرك غايته ثم وصف سرعة الفرس بمرور السحاب المتتابع.

أما "امرؤ القيس" فقد ألهب فرسه ضربًا بالسوط، كما حرك ساقيه، وأخيرًا زجره بالصياح العالي. وما نريد إيضاحه هنا أن حكم "أم جندب" بـ شاعرية "علقمة" التي تفوق شاعرية "امرئ القيس" وهو حكم كلى جاء من خلال بيت جزئي واحد ورد ضمن القصيدة، ولم يصدر الحكم بناء على النظر فى شعر الشاعرين بشكل كلى، ولا حتى بتحليل وتفنيد القصيدة بأكملها، ولعل هذا ما دفع "امرؤ القيس" إلى الغضب بل واتهام زوجه بأنها أحبت "علقمة" ولذا حكمت له، وجارت على زوجها. وفى هذا السياق يذكر د. محمد كريم:

«يبدو الهوى واضحًا في حكم أم جندب بتفضيل قصيدة "علقمة" على قصيدة امرئ القيس، فقد أخبر المخبرون عن الشعراء أن امرأ القيس كان رجلاً غير محبب إلى النساء، فكنَّ يتحملن عشرته كارهات. وتلك الكراهية كانت عاملاً نفسيًا له أثره في هذا الرأي الذي أبدته أم جندب، ولم تصدر فيه عن علة معقولة، أو نظرة عميقة في قصيدتي الشاعرين، ولم يستوعب رأيهما ما في القصيدتين كاملتين من الصور الكثيرة والمعاني المتعددة، ولم تراعِ فضل السابق على المتأخر.

ولقد قرأ امرؤ القيس هذا الهوى في عيني أم جندب، فسألها عن سر تفضيلها شعر علقمة على شعره، فحاولت أن تلتمس العلة الموضوعية التي تسوغ بها رأيها، فلم تجد هذه العلة بعد الجهد إلا في بيت رأت فيه أن امرأ القيس زجر، وحرَّك ساقيه، وضرب بسوطه، وبذلك أدرك ما أراد، وأن فرس علقمة أدرك غايته ثانيًا من عنانه. وقد يكون ما ذهبت إليه أم جندب مقبولاً، لو أن امرأ القيس كان يعنى أن حصانه لا يسير إلا بتحريك الساقين والزجر والضرب بالسوط، ولكن الحقيقة أن تحريك الساقين، واستعمال السوط لازمتان من لوازم كل فارس مهما يكن فرسه.

وليس في بيت امرئ القيس ما يدل على بلادة جواده، فإن معنى بيته أنه إذا مسه ألهبه الجري أي جرى جريًا شديدًا كالتهاب النار، وإذا مسه بسوط درَّ بالجري كما يدرُّ السيل والمطر، وإذا زجره بلسانه وضع الزجر منه موقعه من الأهوج الذي لا عقل له»

إجابة السؤال الثالث: اكتب مقالاً عن النقد فى العصر العباسى

تحدث "الجاحظ" حديثاً خاصاً عن قضية "اللفظ والمعنى" يقول فى كتابه الحيوان:

«وأنا رأيت أبا عمرو الشيبانيَّ وقد بلغ من استجادته لهذين البيتينِ ونحن في المسجد يوم الجمعة أن كلَّف رجلاً حتى أحضره دواةً وقرطاساً حتَّى كتبهما له وأنا أزعم أنَّ صاحب هذين البيتين لا يقول شعراً أبداً ولولا أن أدخِلَ في الحكم بعض الفتك لزعمتَ أنّ ابنَه لا يقول شعراً أبداً وهما قوله:

لا تحسِبَنَّ الموتَ مَوْتَ البِلَى** فَإِنَّما الموتُ سُؤالُ الرِّجال.
كلاهما موتٌ ولكِنَّ ذَا ** أفظَعَ من ذاكَ لذلِّ السُّؤال.

وذهب الشَّيخُ إلى استحسانِ المعنى والمعاني مطروحةٌ في الطريق يعرفها العجميُّ والعربيُّ والبدويُّ والقرَوي والمدنيّ وإنَّما الشأنُ في إقامةِ الوزن وتخيُّر اللفظ وسهولة المخرج وكثرة الماء، وفي صحَّة الطبع وجَودَة السَّبك فإنما الشعر صناعةٌ وضَرْب من النَّسج وجنسٌ من التَّصوير.

وقد قيل للخَليلِ بنِ أحمد : ما لكَ لا تقولُ الشِّعر قال : الذي يجيئُني لا أرضاه والذي أرْضاه لا يجيئنى»[1].

وكأن "الجاحظ" يرى أنَّ الشعر يصنع بالكلمات وليس بالمعاني.

الشاعر هو ابن عصره، ولابد أن يأتي شعره متواكبًا مع عصره، معبرًا عن بيئته، عاكسًا لما يراه حوله من صور حضارية. ولقد تطورت الحياة الأدبية والفكرية والمعيشية في العصر العباسي، وما يهمنا هو تطور الشعر، حيث أخذ الشعراء يجددون في الأغراض الشعرية، ويبدعون في ألفاظهم ومعانيهم، فيعبرون في شعرهم عن «حياتهم اليومية وعواطفهم وأهوائهم، كما عبروا فيه عن الحضارة المادية التي عاشوا فيها بخمرها وقيانها وقصورها ورياضها ومجالس أنسها. وتصرفوا في النوعين معًا تصرفًا بارعًا في الألفاظ والأساليب والصور والأخيلة والأفكار والمعانى».

وفى المقابل ظهر شعراء محافظون. وهنا تبلور تياران؛ تيار محافظ وآخر مجدد.

فالمحافظ: يحتفظ بموضوعات الشعر وتقاليده التي وضعها الجاهليون وساروا عليها في أغراضهم وبناء قصائدهم.

والمجدد: يطور في شعره، متأثرًا بحياة الرقى والحضارة، فيُطلق عنان نفسه لينظم شعرًا في اللهو والخمر والمجون.

وكان من البديهي أن تنشأ صراعات ومناظرات بين المحافظين والمجددين، أو بين القدماء والمحدثين. فهذا أبو العتاهية من المحافظين ومسلم بن الوليد من المجددين، يتحدثان، وينقل "صاحب الأغاني" هذا الحديث فيقول:

«اجتمع أبو العتاهية ومسلم بن الوليد الأنصاري في بعض المجالس، فجرى بينهما الكلام؛ فقال له مسلم: والله لو كنت أرضى أن أقول مثل قولك:

الحمد والنعمة لك *** والملك لا شريك لك

لبيك إن الملك لك

لقلت في اليوم عشرة آلاف بيت، ولكني أقول:

موف على مهج في يوم ذي رهج كأنه أجل يسعى إلى أمل».

ومن الواضح أن النص السابق لا ينقل حديثًا عابرًا بين الشاعرين، بقدر ما يطرح مذهبين مختلفين. المذهب الأول هو مذهب تقليدي يقترب من الفهم، ويسهل على السمع. أما المذهب الثاني: فهو مذهب تجديدي، يهتم بالألفاظ، ويتفنن في الإكثار من الصنعة اللفظية، والصور البيانية.

ولا يقتصر مذهب الصنعة على "مسلم بن الوليد" فحسب، بل يدخل معه: "بشار، أبو نواس، أبو تمام". فأما عن "بَشَّار بن بُرْد" فهو شاعر فارسي الأصل ولقد عدّهُ «النقاد ومؤرخو الأدب العربى زعيم المجددين في الشعر العباسي لما امتاز به من حرية مفرطة في التعبير عن عواطفه وتصويره لملذات حياته في غير وقار وبدون مبالاة للأوضاع الخُلُقية، وأيضًا لبراعته الرائعة في صياغته وما رفد به من شعره من معانٍ وأفكار وصور مستحدثة. وقد نشأ في العصر الأموي وامتدت حياته نحو خمسة وثلاثين عامًا في العصر العباسي، فكان رائدًا للحركة الفنية الجديدة، وكان له ذوقه الأدبي الممتاز الذي استطاع به أن يؤلف شعره بصورة لا عهد للعرب بها»

ويؤكد النص السابق على أن الذوق الشعري لـ "بشار" يختلف عن ذوق غيره من المحافظين، ولقد أظهر بشار ذوقه الجديد فى شعره المنظوم، كما أفصح عنه صراحة، فـ «يُقال إنه أنشد زميلاً له بيته المعروف:

وإذا قلتُ لها جُودِى لنا *** خرجت بالصمت من "لا" و "نعم".

فقال له زميله: "هلا قلتَ خَرِست بالصمت، فبادره بقوله: إذن أنا في عقلك، فضَّ الله فاك! أأتطير على من أحب بالخرس"».

يتحدث "بشار" في البيت السابق عن امرأة يهواها، طالبًا منها أن تجود بمودتها أو تظهر محبتها، ولكنها تصمت، فلم ترد عليه، ولم تلب طلبه، وخرجت من الموقف بالصمت المحير بين "لا" و"نعم"، ولم يستدل الشاعر من صمتها على القبول أو الرفض، بل تركتها فى حيرة كبيرة بين يأس وأمل.

وعلى الجانب الآخر نجد أن زميل بشار وهو شاعر مثله لم تذكر الراوية اسمه، ينقد بيت بشار، ويرى استبدال (خرجت بالصمت) بـ (خَرِست بالصمت)، ولكن بشارًا لم يرضه هذا النقد، ووصف صاحبه بقلة العقل، بل ودعا عليه، لأنه يرى خرس المحبوبة في مثل هذا الموقف أفضل، في حين يرى بشار أن الخرس يمثل نوعًا من التطير للمحبوبة. ولعل الفرق بين بشار وزميله هو فرق بين ذوقين شعريين، ذوق بشار المجدد الذي يعتني بألفاظه ومعانيه، وذوق زميله المقلد الذي يرى الخرس أنسب.

وأما عن "أبى نُواس" فقد ثار على مقدمة القصيدة التقليدية، وما فيها من وقفة طللية على الديار والرسوم الخالية، ورأى أن يوجه اهتمامه للخمر.

وأما عن "أبى تمام" في صناعة الألفاظ، كما أغرب في المعاني، ولذلك كان يسأله بعض النقاد المحافظين: لما لا تقول ما يفهم من الشعر؟! وكان يرد على سؤالهم بسؤال: وأنتم لما لا تفهمون ما يُقال؟ ولقد صار الشاعر على رأس مدرسة الصنعة، وفى المقابل كانت مدرسة الطبع تحافظ على عمود الشعر وتسير على المنوال القديم ومن أهم ممثليها "البحتري".

ولقد نقد الشعراء من روى أو أنشد شعرهم بوجه خاطئ أو به صحف فيه. فيذكر صاحب "الصناعتين" أن: «رجلاً أنشد ابن هرمة قوله:

بالله ربكَ إن دخلتَ فقلْ لها ... هذا ابن هرمةَ قائمًا بالبابِ

فقال: ما كذا قلتُ، أكنتُ أتصدَّق؟ قال: فقاعدًا. قال: كنت أبول؟ قال: فماذا؟ قال: واقفًا. ليتك علمت ما بين هذين من قدر اللفظ والمعنى»

وواضحٌ أن "ابن هرمة" شاعرٌ مدقق، فهو يستنكر على الرجل ما وقع فيه من تصحيف، لأن هذا التصحيف سيخل بالمعنى المراد. فالشاعر لا يختار ألفاظه اختيارًا عبثيًا، ولا ينظمها قصيدته نظمًا عشوائيًا، ولكن لديه من المعرفة بالألفاظ والوعي بما تؤدى إليه كل لفظة من معنى، ولهذا يقول: (ليتك علمت ما بين هذين من قدر اللفظ والمعنى).